

أضواء البيان

@ 433 قوله تعالى : { فَقَالَ الْإِمْلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشِيرًا مَّثُوثًا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا تَّابِعًا لِلَّهِ السَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِهِ الرُّسُلُ } إلى قوله { وَمَا أَتَانَا بِطَارِدٍ السَّذِينَ } .
 ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مَثُوثٌ قَوْمُ رَبِّهِمْ وَالْكَافِرُ أَكْثَرُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ } .

وقد دلت هذه الآية وأمثالها ، على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان ، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : أنهم سادة القوم أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال : هكذا هم أتباع الرسل . .

وقال العلماء في ذلك : لأنهم أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر ، ويجدون في الدين عزاءً ورفعاً ، وهكذا كان بلال وصهيب وعمار ، وهكذا هو ابن أم مكتوم رضي الله عنهم . { أَمَّا مَنْ اسْتَعْذَى * فَأُتِيَ لَهْ تَصَدَّى * وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا * يَزَّكَى } . بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة ، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى ، شفقة بهم ورحمة ، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله : { عَزَّيْزٌ عَلَايَهُ مَا عَدَّتْهُمْ حَرِيصٌ عَلَايَهُمْ * } وكقوله : { فَلَا عِلَّكَ بِأَخِي * زَفْسُكَ عِلْدَاءُ ثَارِهِمْ * إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا * بِهَِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } . .

وقوله : { وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا * يَزَّكَى } ، بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس عليه ممن لا يتزكى ، وقد صرح تعالى بذلك في قوله : { إِنَّ زَمَّآءَ أُنْتَ مُنْذِرٌ } وقوله : { إِنَّ * عَلَايَكَ إِلَّا * الْبِلَآغُ } ، وقوله : { لَّيْسَ عَلَايَكَ هُدَاهُمْ * } ، ومثل ذلك . .

وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام { وَمَا أَتَانَا بِطَارِدٍ الْإِمْلَأُ مِّنْ مِّنْ * إِنَّ * أَتَانَا إِلَّا * نَذِيرٌ مِّنْ * } . { كَلَّا * إِنَّ زَمَّآءَ تَذَكُّرَةٍ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فَمَنْ حُفِّ مَّكْرٌ مَّعَةٍ * مَّزَّوَعَةٍ * مَّطَاهَرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ } . معلوم أن كلمة : كلا : ردع عمَّا سبق ، وهو في جملته منصب على التصدي لمن استغنى ؟ والإلحاح عليهم والحرص على سماعهم منه ، ولكن الله تعالى يقول : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم فهي على ما هي عليه من

